الباب العاشر

[فى سلطنة السلطان مراد خان بن سليم خان ابن سليمان خان بن سليم خان]

فى سلطنة سلطان العصر والزمان، خاقان خواقين العهد والدوران، ملك ملوك المشرقَيْن والمغرَبيْن، سلطان سلاطين الخافقَيْن، خادم الحَرَمَيْن الشريفَيْن، عامر البلدَيْن المحترمين المنيفَيْن، أعظم سلطان خفقت عليه البُنُود، وأعظم خليفة انتظم به نظام الوجود، وعقدت على عظمته عقود الخناصر، وتشرّفت بمدحه رءوس المنابر، وأكبر مليك جنّد الجنود وكتّب الكتائب وحشّد العساكر

ملك إذا ضاق الزمان بأهله ... بُخْلاً توسّع فى المكارم وانفسح
تكْبُوا السحائبُ إذ تجارى كفّه ... فالغيث من وجناتها عرق رشح
ويكلّف الأسدَ الهصورَ بعَدْله ... فى القفر أن يرعى الغزال إذا سنح

المنصوب له على أوج سرير السلطنة سُرداق الخلافة العظمى، المرفوع له فى أرجاء بساط البسيطة لواء الملك الأَسْنَى، العظيم الأسمى حضرة السلطان الأعظم، والخاقان الأكرم الأفخم، السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن سليم خان

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضُّحَى ... نوراً ومن فلق الصباح عمودا

لا زالت أعلام خلافته مرفوعة على همام الثريّا، ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانًا عليًا، ما دار الجديدان، وطلع النَّيرَان، ولمع الفرقدان

مولده الشريف فى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وجلس على تخت الملك الشريف فى عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، وسنُّه

الشريف حين ولى الملك المنيف ثلاثون سنة، وهو ملك هُمام، وأسد ضرغام، وهزبر مقدام، وسيف صمصام، وبحر قمقام، ملك بقائم سَيْفه ملوك الأملاك، وأدار على حسب مراده مدار الأفلاك، وملأ بصيت عظمته ما بين السِّماك[1] والأسماك، وخاطبه الصبُّح والليل أسعَدَ الله صباحك ومِساك، خداوندكار العالم وسلطانه، وإمام المسلمين الذى إذا جلس على سرير خلافته فما قدر كسرى وإيوانه، وهو منذ هجر المهد وجَفَا الرضاع، مجبول على كَرَم الخصال وشرف الطباع، مشغول اللسان بالذكر والقرآن، مشغوف الجنان بالسيف والسنان، ممدود الهمّة إلى معالى الشأن، معقود الأُمنيّة بسمُوّ القدر وعُلُوّ المكان، لم يزل قائمًا بنصرة الدين، وحماية بيضة الإسلام وتقوية جناح المسلمين.

وإنّى أنشر فى هذه الرسالة سيرة معدلته فى الرعايا، وأتحدث بما طبعه الله عليه من كرم السجايا، وحبّب إلى خُلقه الشريف من الرأفة بالبرايا، والمحبّة لعلماء الدين وإكرامهم بالمواهب الجزيلة والعطايا، وحسن نظره إلى أهل الحرمين الشريفين، وإحسانه إلى الفقراء والفقهاء والصلحاء بالبلدين المحترمين المنيفين، وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية فى صفحات الأيام، فاق بها على عمارة من قبله من الخلفاء الكرام، وسائر سلاطين الأنام، وكافّة ملوك الإسلام، فلقد آتَاهُ الله ما لم يُؤت أحدًا من العالمين، وجعل الكلمة باقية فيه وفى ذويه وجمع له بين أعظم سعادة الدنيا والدين، وجعله ملكًا كريمًا، وسلطانًا رءوفًا رحيمًا، ومنحه مُلْكًا جليلاً عظيمًا، واقفًا عند مُراد ربّه سبحانه فلا يتعدّاه، عاملاً فى أمره بتقوى الله، مراعيًا للعدل والإحسان فيما استرعاه.

مَعَـانى بنى عثمـان غير خفيّة ... وكلٌّ إلى شأو المفاخر سابقُ
وقد تخمد الشمس النجوم بضوئهـا ... تفاوتت الأنـوار والكـلُّ رائـق
وباسم مراد ينجلى كلُّ مشكل ... غويص وتنقاد الجبال الشواهق

(١) كذا فى م، وفى ل: «الشمال».

ويُوهمنا فى أن آدم لم يَمُت حنُوٌّ على أولاده منه صادق
ولطف تساوى الخلق فيه فضمّهم كما ضمّت الخَصْرَ الرقيق المناطق
بقاؤك فى الإسلام عزٌّ مؤيّدٌ فدُمْ وابق للإسلام ما دَرَّ شارق

طالما عمرنى وغمرنى بإحسانه وهو شهزاده، قبل جلوسه على تخت السلطنة والسعادة، وشملنى لحظه الشريف السلطانى بالحُسنى وزيادة، واستمرّ ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه وإكرامه، ويكرمنى بحُسن التفاته الشريف وإنعامه، فرقى ما بيَدى من المدرسة الشريفة السلطانية السليمانية، مدرسة جدّه المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية، وأنعم على أولادى بالتداريس، وأولاهم بكلّ إكرام وإحسان لطيف نفيس.

فلو أن لى فى كل منبت شعرة لسانًا يَبُثُّ الشكر كنت مُقَصّرا
وما بيَدى إلا الدعاء لنصره ليملك قسرًا ملك كسرى وقَيْصَرَا

وإنّى لأخْدمه أنا وأولادى، وأهلى وأحفادى، فى بلد الله المنيف، بالدعاء بطول عُمره الشريف، وخُلُود ظلّ عدله الوريف، وبقاء سلطنته القاهرة، ودوام خلافته الزاهرة الباهرة، وأُخَلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكُتُب، وأنشر طيب عرف شكره على مرور الأعصار والحُقُب.

وإنى وإن أعطيت فى القول بسطة وطاوعنى هذا الكلام المحبّر
لأعْلَمُ أنى فى الثناء مقصّرٌ وأن الذى أولاه أوفى وأوفر
فأىّ جميل من عطاياه ينتهى وفى كل حين فضله يتكرّر
ولكنّنى ما دُمْتُ حيًا لشاكرٌ ويشكره بعدى كتابى المُسَطَّرُ

• فصل:

ومن أعظم سعادة هذا السلطان الأعظم الأسعد، ثبّت الله سلطنته، وشيّد، وأدام ملكه السعيد وخلّد، مقارنة هذا الوزير الأعظم، الأكرم الأفخم، ظهير السلطنة الشريفة العثمانية، وعضد الدولة المرادية الخاقانية،

مدبّر الأمور برأيه المصيب الثاقب، وممهّد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب، أعظم وزراء السلاطين العظام، وأكبر الصدور الكبراء الفخام، فى دواوين أعظم ملوك الأنام، حضرة محمد باشا المشار إلى حضرته العلية سابقًا فى وزارة والد هذا السلطان الأعظم وجدّه، قرن الله صدارته بسعادته وجدّه، وأدام سيادته فى ظلّ إقبال هذا السلطان الأكرم وشمله بسعده.

فأوّل خدمة هذا الوزير، حسن التدبير، حين أجلس حضرة هذا السلطان الأعظم، روح هذا العالم، على السرير، وقام بأعباء هذا الأمر الخطير، ودبّر ذلك برأيه السديد أحسن تدبير، وأعانه على ذلك تقدير اللطيف الخبير، وتيسير العلى الكبير، والله على كل شىء قدير، فأقبلت السلطنة الشريفة عليه إلى أن صار ملهج لسانها، وعَظُمَ فى عين الدولة الشريفة فحلّ محلّ إنسانها، وكبر شأنه وقد كان كبيرًا عظيمًا، وعمّ إحسانه وكان كثيرًا عميمًا، وعرف نعمة الله تعالى عليه فقابلها بالشُكر والتحميد، واعترف بآلاء الله تعالى جلبًا للمزيد، وربطًا للجديد العتيد، فأشرقت شمس سعادته فى الآفاق، وأورقت رياض صدارته أنضر إيراق، وقلّد أجياد أركان الدولة الشريفة، بعقود مِنَنِه السامية المنيفة، فكانت كالأطواق فى الأعناق، والنور فى الأحداق، بحيث لم يبق من أركان الديوان، وزعماء الجيوش والأمراء والبكلاربكية الأعيان، من لم يضرب بسَهْم وافر من عطاه، ولم يخدمه إلا فاز بإنعامه وحباه، وأحسن إلى السادات والمشايخ والعلماء والموالى، وسائر العظماء، والأهالى، وإلى أهل الحرمين الشريفين، وجيران البلدَيْن المطهرين المنيفين، وأكثر فيهما الصدقات، وأجرى فيهما أفعال الخيرات، من إجراء العيون وحفر الآبار، وبناء دار الشفاء والحمامات، وغير ذلك من الأعمال الصالحات، مستجلبًا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء، وتوجّه خواطر الأولياء والأصفياء، بدوام دولة هذا السلطان الأعظم وقيام سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على أهل العالم، فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون، وبقاء صدارة هذا الوزير الأعظم بالسعد المقرون،

زيّن الله أعماله الصالحة بحُسن القبول، وكسا ديباجة وجهه الشريف قبولاً يدوم بدوام الصبا والقبول، فى ظلّ مراحم هذا السلطان، المحفوف بالعدل والإحسان، خلّد الله تعالى سلطنته العادلة مَدَى الزمان، وأبّد خلافته الكاملة ما دار الفرقدان، وأضاءَ النيران.

ومن سعادة هذا السلطان الأعظم، خلّد الله تعالى سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم، مقارنتُهُ لحضرة الخواجه المعظم الأكرم، الأفضل الأكمل الأعلم، الفائق فى كل علم على من كان فى علم من العلوم فائقًا، والمتميّز فى كل فنّ على من كان فى فنّ من الفنون ماهرًا سابقًا، إن نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحُور، وإن نثر نثر الزهر المنثور من الروض المطور، بعبارة فائقة البراعة فى الألسن الثلاثة، وفصاحة بارعة فيها حازها كسبًا ووراثة، طالما أبهر الناقد البصير بُحسن التقرير، ولطف التحرير، وأتى فى البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير، ولا شكّ أنه يغترف من بحر الفيض القدسى، ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على العالم الإنسى، فإنه كتب الخطّ الحسن وما بقل خطُّ عذاره الأنضر، وتميّز فى الكمالات على مشايخه فضلاً عن أقرانه فى عصر شبابه الأزهر، باحث العلماء فى دقائق العلوم، ورجح عليهم فى تحقيق فهم المنطوق والمفهوم، نفث السحر الحلال بكلامه، ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه، فبهر العقول والألباب، وأتى بالتصانيف الفائقة فى كل باب، وأتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب، ثالث السعدين وثانى سعد الدين، مكّنه الله من العزّ المكين، ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين.

ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم، فساقه إلى تعليم هذا السلطان الأعظم ذى الطبع السليم والخلق الكريم، وهو شاه زاده فأقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الإقبال، فانطبع فى مرآة قوّته الداركة نقوش صورة العلم والكمال، وانتقش فى صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والإفضال، ولمّا ولى السلطنة العظمى عرّف له خدمته السابقة، ورفع مرتبته

السنية الفائقة، وأعلى مكانته ومكانه، وأعزّ قدره وعظم شأنه، فانثالت العلماء والموالى العظام إلى بابه، وكذلك الأكابر والأعيان، صمدوا إلى جنابه، فأحسن إليهم كما أحسن الله إليه، وعطف عليهم بمزيد الحنوّ والإحسان كما عطفت السعادة والإقبال عليه، فهو بالخير الجميل مذكور، وبوفور التلطُّف والتكرُّم معروف مشهور، طالما شملنى بإحسانه الكثير الوافر، وعضدنى بلطفه وجميله المتواتر، وأخذ بيدى أخذ الله بيَده وأدام عليه فضله الباهر، وأحسن غاية الإحسان إلىَّ، وتفضّل بأنواع التفضيل علىَّ، وشمل بفضله أولادى وذوىَّ[1]، نظر الله تعالى بعين عنايته وألطافه إليه، وأجرى موادّ الكرم والإحسان على يَدْيه، وأسعده فى ظلّ هذا السلطان الأسعد، وخلّد سلطنته العظمى، وأبّد خلافته الكبرى وأيّد.

وهـــذا دعـــاء للبرية نافع ... وحسن رجاءٍ للسعـادة جامـعُ
وقـد حفّـه حُسن القبـــول لأنه ... عليه شعاع الصدق والله سامعُ

• فصل:

ومن سعادة هذا السلطان الأعظم، عمرّ الله تعالى بشمول معدلته ومَرْحمته علماء العالم، كثرة العلماء العظام الأعالى، والفضلاء الفخام الموالى، والمشايخ الأولياء الكرام والأهالى فى بابه الكريم العالى، وتحت ظلّه الظليل المتعالى، فمنهم من اجتمعتُ به وعرفت كمال فضله، واعترفت بعد مشاهدته برفعة درجته فى العلم ومحلّه، واغترفت من بحر فوائده، وتقلّدت بدُرر فرائده، ومنهم من كاتبنى بفضله وكاتبتُه لفضله، وتحقّقت ثقوبَ فهمه ووفور علمه وعقله، ومنهم من أحطتُ علمًا بكماله، بعد التفحُّص عن مرتبة فضله وإفضاله، فوجدتُهم فى الرتبة العليا فى الفضل والكمال، فائقين علماء الدنيا فى هذا العصر على كل حال، فإنى أتتبّع أحوال علماء كل إقليم، وأسأل عن مراتبهم فى العلم وكمالاتهم فى التعلُّم

(١) فى ل: «ومغذىً»، والمثبت من م.

والتعليم، وأكثر التفحص عن أحوالهم وتصانيفهم، وفضائلهم وفوائدهم وتآليفهم، واستجلبت ما يمكن جلبه، وأطلب منهم ذلك إذا أمكننى طلبه، وأنشر ذلك بين العلماء فى كل بلاد، وأبذلها لطلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد، وهذا دأبى منذ أُميطتْ عنى التمائم، وأنيطت بمفارقى عقود العمائم، مع كثرة الواردين إلى بلد الله الحرام، والوافدين من الأقطار الشاسعة لأداء حجّة الإسلام، وشدّة شغفى بملاقاتهم، والتيمّن ببركاتهم، والسُّؤَال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم.

فكنت أكثر الناس خبرة بأحوال العلماء ودرجاتهم، فوجدت الموالى العظام من علماء الروم، هم الفائقون فى هذا العصر فى تلك العلوم، ونظرهم فيها أدقُّ نظر فى المنطوق والمفهوم، زادهم الله جمالاً وكمالاً، وفضلاً باهرًا وإفضالاً، وكلُّ ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم، سلطان العالَم خليفة الله الأعظم على كافّة الأمم، جمّل الله به وجود الأنام، وأكرم بعظيم إكرامه طوائف العلماء الكرام، وأكابر فضلاء الموالى العظام، فرفلوا فى أيام سعادته فى حلل المناصب العالية الفخام، وأحرزوا قصب السبق فى ميادين المراتب السامية فى ظلّه الظليل المستدام، أدام الله تعالى لهم ذلك إلى قيام الساعة وساعة القيام.

وأمّا زُمْرة المشايخ والأولياء والصلحاء والأصفياء فمن شأنهم عدم الظهور لأعين الناس إلا نادرًا، وأما أرباب الظهور منهم لإرشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا، وأصحاب البُقع والتكايا، فكثيرون ظاهرون كثّرهم الله تعالى ونفع بهم.

ويجب على كل أحد أن يعتقد فيهم، ولا ينكر على أحد منهم، وإن شاهد منهم ما ينكره حمل نفسه على قصور الفهم، فكم فيهم من مَلامَتى يَقْصِد أن يُنكر عليه ويُخفى حاله عن الناس، فحمل حاله على الصلاح أسلَم وأجمل.

وقد ذكر الشيخ الأكبر مولانا محيى الدين ابن عربى ـ رضى الله عنه ـ فى

أوائل فتوحاته المكية: من أعظم سعادة الإنسان أن يعتقد فى كل من انتسب إلى الله تعالى ولو كان كاذبًا.

فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد فى أوليائه حيث كانوا، ويدخلنا فى زمرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم.

● **فصل:**

ومن أعظم مآثره الجميلة الكرام، وأكرم آثاره الجليلة العظام، إتمام عمارة المسجد الحرام، زاده الله شرفًا وتعظيمًا، ومهابة وتكريمًا، وقد تقدّم أن والده السلطان الأعظم، المندرج إلى رحمة الله تعالى الأكرم، شرع فى تعميره على الوجه الذى تقدّم، وأتم منه الجانب الشرقى والجانب الشمالى إلى أن انتهت العمارة الشريفة إلى باب العمرة فما عُمّر إلى أن تتمّ العمارة وسلم ملكه المشيد، إلى نجله السعيد، السلطان الأعظم الفريد، السلطان المشار إليه الأفخم الأكرم، خلّد الله تعالى ملكه الأعظم، وأفاض على العالمين عدله الأقوم وعمره أطال الله عمره الشريف وغمره بسوابغ الفضل والنعم، فبرز أمره الشريف العالى إلى أمين العمارة الشريفة المشار إليه سابقًا افتخار الأمراء الكرام أحمد بك أن يبذل جدَّه وجهده فى إتمام بناء المسجد الحرام، ويشرع فى إنجاز عمارته بكمال السَّعْى والاهتمام، فبادر الأمير المشار إليه إلى هذا الجدّ والاجتهاد، وتوجّه بكلّيته إلى إتمام هذه العمارة فى خير البلاد، فأعانه الله تعالى على إتمامها، وأمر بذلك سائر خُدَّامها، إلى أن تمّ بناء الجانبين الغربى والجنوبى من المسجد الحرام بجميع شرافاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد وخارجه فى أيام دولة هذا السلطان الأعظم، خلّد الله ملكه الأقوم، فتمّ ولله الحمد بسعد طالعه السعيد، وكمل على هذا الوجه الحميد، بحُسن توجُّهه الشريف وقوة عزمه المشيد، وكان ذلك فى آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة.

وصار المسجد الحرام نزهة للناظر، وبغية للخاطر، وجلاءً للنواظر، وصفاءً للقلوب والخواطر، بحيث صار ما عمّره الخلفاء العبّاسيون قبل ذلك

لا يحسن عنده أن يذكر ويوصف، لأن هذا البناء الشريف أمكن وأزين وأعلى وأشرف، فكان الآن كإرم ذات العماد، التى لم يخلق مثلها فى البلاد، بعقود عالية كأطواق الذهب فى الأجياد، وقُبَب سامية كقباب الأفلاك الشداد، وشرافات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد، بل أعلى وأشرف، وأجلّ وألطف، وأرفع وأتحف، مبنىٌّ ذلك بالرخام الأبيض المرمر، والحجر الشميسى المنحوت الأصفر، كأنه سُبْك الذهب أو شبك العسجد والجوهر، مكتوب على الأبواب، وصدور الأَرْوقة آيات الكتاب، والاسم السامى السلطانى المستطاب، بحلّ الذهب، بخطّ كسلاسل الذهب، على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية، بالكتابة المنسوبة الفائقة الجليّة، واخترع الفضلاءُ لذلك تواريخ عديدة بكلّ لسان، واخترت أخصرها لأنه خير مساجد الله، ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخًا فى بيت مفرد فأعجبنى نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت:

جدّد المسجد الحرام مراد دام سلطانه وطـال أوانه[1]

ثم رأيت تاريخًا نثرًا جعله سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام، ومدرّس أعظم مدارس أعظم سلاطين الأنام، سيد السادات العظام بدر الملّة والدين، مولانا السيد القاضى حسين الحسينى، قاضى المدينة المنورة سابقًا، أدام الله تعالى إجلاله، وضاعف فضله وإفضاله، فأثبتُّه هنا لحسن إنشائه ولطف مبناه، وسلامة لفظه وبلاغة معناه، وهو هذا باسمه سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] شرع فى عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده، من اختاره الله سبحانه من خلفائه وعبيده، المقدّس المرحوم السعيد، المبرور المغفور الشهيد، سلطان الإسلام والمسلمين، خاقان خواقين العالمين، المتفيّئ بفضل الله ظلال دار النعيم، حضرة الملك الأعظم السلطان

(١) منائح الكرم ٣/ ٤٧٢.

سليم، نوّر الله تعالى ضريحه، وروّح بروايح الجنان روحه، وأتمّ بناءه وأكمله وأتقنه، وجمّله وحسّنه، وارث الملك الأعظم، والإمام الأفخم، والخليفة الأكبر الغطمطم، والملك القاهر العرمرم، من ملّكه الله شرق البلاد وغربها، وجعل طوع يديه عجم الرعايا وعربها، وأطلعه سراجًا منيرًا فى المشارق والمغارب، وملكًا مرفوع المقام على هام الكواكب، وصيّره للإسلام حصنًا محيطًا، وجعل ظلّه المديد على كافّة الأنام بسيطًا، وعدله الفريد فى جميع الوجود مبسوطًا، وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعدا، وجمع له بين الباس والنَّدَى، فصار مُلكه الشريف بعون الله سبحانه مفردًا، خليفة الله على كافّة العباد، ورحمته الشاملة لجميع البلاد، سلطان سلاطين الزمان، خلاصة خواقين آل عثمان، السلطان بن السلطان بن السلطان، الخنكار[1] الأعظم مراد خان، لا زال الوجود بدوام خلافته عامرًا، ولا برح الإسلام فى أيام سلطنته قويًا ظاهرًا، زاده الله تعالى قوة ونصرًا، وشدّ بملائكته الكرام له أزرًا، فتاريخ إتمامه قد جاء:

* أطال الله لمن أتمه عمرًا[2] *

ثم ورد من الباب الشريف العالى تاريخ منظوم نظمه درر البحور وغُرر النحور، ونثره كالدّر المنثور والزهر المنشور، بخطبة وتعريفات السلطان الأعظم فى آخرة ثلاثة أبيات بالعربى لا أعلم من الذى أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورصّعه، وورد معه حكم شريف سلطانى يتضمّن الأمر بكتابته على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الأمر الشريف، وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف، على طراز باب سيّدنا العبّاس إلى باب على فى الجانب الشرقى من المسجد الحرام، ونقر له فى الحجر الأصفر الشميسى وطُلِىَ بِحَلْيِ الذهب فى ذلك المقام، ليقرأه الخاصّ والعامّ، ويبقى ذلك النقر فى

(١) خنكار: لفظ متداول كلقب من ألقاب الملوك والسلاطين فى العهد العثمانى، أول من حمله من سلاطين الدولة العثمانية: مراد الأول سنة ٧٩١ هـ.

(٢) هذه الجملة تقابل بحساب الجمل عام ٩٨٤ هـ.

الحجر على صفحات الليالى والأيام، وهذا لفظه:

الحمد لله الذى أسّس بنيان الدين المتين بنبىّ الرحمة والرشاد، وخصّه بمزيد الفضل والكرامة والإسعاد، وجعل حرم مكة مطافًا لطوائف الطائفين الحاجّين من أقاصى الممالك والبلاد، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأجلّة الأمجاد، ووفق عبده المعتاد بإحكام أحكام الشرعية وتشييد أركانها على الوجه المراد، المذخر ذخر الآخرة المستزيد من زاد المعاد، ظلّه الممدود على مفارق العباد، السلطان بن السلطان بن السلطان مراد، جعل الله تعالى الخلافة فيه وفى أعقابه إلى يوم التناد، لتجديد معالم المسجد الحرام وحرمه الذى سواءٌ العاكف فيه والباد، فتمّ فى فاتحة سلطنته العظمى لا زال للحرمين المحترمين خادمًا، ولأساس الجور والاعتساف هادمًا، بتجديد حرم بيت الله عَزَّ وَجَلَّ، بأمر العزيز المبجَّل، وعمر عامر جوده ما تضعضع من أركانه، بعدما كاد تنقض عوالى جُدْرانه، فجدّد بنيان حرم بيت الله العتيق وسوّره بأكمل زينة وأجمل صورة بعدما أبلاها الجديدان، وأكلت عيدان سقفها الأرضة والديدان، فرفع القباب موضع السطوح المبنية بالأخشاب، وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل شيخ وشاب، فأذعنوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر، تالين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة:١٨]، وداعين له من الله تعالى بالبرّ الجزيل والذخر الزاخر، قائلين: اللهمّ أدِمْهُ فى سرير الخلافة، محروسًا بحفظك من كل آفة، وظافرًا على من يريد خلافه، مشيّدًا للمساجد والمدارس، مجدّدًا لكل خير منهدم ودارس، واجعل بابه للراجين حرمًا آمنًا، وجنابه للمحتاجين كفيلاً ضامنًا، يأتون إليه من كل فجّ عميق، بحُرمة البيت العتيق، تقبل الله مُعْطى السؤال بجاه الرسول، هذا الدعاء الحرىُّ بالقبول، فَلَمَّا[1] أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، جاء مشيّد الأركان، حاكيًا روضات الجنان، وصار هذا عُنوان خلافته، وبراعة استهلال لمنشور سعادته، فى أوائل سنة أربع وثمانين

(١) فى ل: «فلمن».

وتسعمائة، وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده الماجد الدارج إلى مدارج الملك المجيد، السلطان السعيد، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، السلطان سليم، ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم، ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد بن السلطان مراد ابن السلطان محمد ابن السلطان يلدرم بايزيد ابن السلطان مراد ابن السلطان أُورخان ابن السلطان عثمان، مكّنهم الله على سرير السلطنة فى دار الجنان، وأبّد أخلافهم فى مسند الخلافة إلى انقراض الزمان.

وكان الشروع فى الرابع عشر من ربيع الأول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة، فلمّا سلّم السلطان سليم، وديعته بأحسن تسليم، وارتحل من دار القصور، إلى ما هيّأه الله له فى الجنّة من القصور، قبل تمام ما رام، من تجديد المسجد الحرام، وأجلس الله على سرير الخلافة نَجْلَه االنجيب أحسن إجلاس، وجعل حرمَهُ مثابة للناس، يسّر الله له الإتمام، بطلعة إقباله وجوه الليالى والأيام، وأنام الأنام، فى مهد عدله إلى قيام الساعة وساعة القيام، ونظم راقمُ هذه الأرقام، تاريخًا يليق أن يكتب فى هذا المقام، وهو هذا:

جدّد السلطان مراد بن سليم ... مسجد البيت العتيق المحترم
سُرَّ منه المسلمـــون كلُّهم ... دام منصور اللواء والعلم
قال روح القدس فى تاريخه ... عمر سلطـــان مراد الحرم

انتهى.

ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبى الذى هو مجرى السيل الآن، فإن الأرض علتْ وامتلأَ المسيل كلُّه إلى أسفل مكة بالتراب، إلى أن لم يبق للدخول إلى المسجد من الأبواب التى فى تلك الجهة إلا نحو ثلاث درجات بعد أن كانت نحو خمس عشرة درجة يُصْعَد منها إلى أن يدخل من الباب إلى المسجد، فكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه إلى خارج البلد من جهة المسفلة فى كل عشرة أعوام مرّة، فغفل عن قطعه نحو ثلاثين عامًا فعلَت الأرض فجاءَت سيول طافحة

ليلة الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء إلى حول الكعبة وعلا إلى أن غطى الحجر الأسود وجدار الحجر الشريف، ووصل الماء والطين إلى عتبة الكعبة الشريفة علا إلى أن قرب من قفل الباب الشريف، ووقف الماء فى الحرم الشريف يومًا وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فيه فتعطّلت الجماعة سبعة أوقات.

وبادر مولانا شيخ الإسلام ناظر الحرم الشريف والأمير المعظم أحمد بك أمين العمارة بخُدَّامهم وعبيدهم وسائر المشدّين وخدام الحرم الشريف والفقهاء والأعيان والتجار إلى فتح طريق الماء من أسفل مكة، ثم نظف وغسل داخل البيت الشريف ومقام الحنفى، ثم أُخرجت الأوساخ من الحرم الشريف وكوّم الطين أكوامًا فى المسجد، ثم أُخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب فى ذلك حضرة الأمير أحمد وصرف من ماله فى ذلك مبلغًا كبيرًا.

ثم شرع فى قطع المسيل وتهبيط أرضه إلى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبى من المسجد الحرام إلى آخر المسفلة، وهو ممرّ سيل أعالى مكة فصار السيل إذا سال درج بسُرعة ولم يعل إلى أن يمكنه الدخول إلى المسجد الحرام، وفعل ذلك أيضًا من جهة باب الزيادة فى الجانب الشمالى وهو ممرُّ سيل قُعَيْقعان والفلق والقرارة، فصار إذا سال سيل قعيقعان وحواليه وجرى إلى باب الزيادة لم يَصْعَد إلى أبواب المسجد بل يدخل سردابًا واسعًا يسمى العنَبَة، ويجرى فيه إلى أن يخرج من قرب باب إبراهيم، فيسيل إلى أسفل مكة مع السيل الكبير..

وصان الله تعالى المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تَصِلْ إلى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأىٌ سديد، وعملٌ مُهِمٌّ نافع ينصانُ به المسجد الحرام عن دخول السيول إليه، غير أنه يحتاج إلى أن يتفقّد فى كل عامَيْن أو ثلاثة أعوام، فيقطع ما علا من الأرض قبل أن يعلو

كثيراً فيحتاج إلى قطع كثير ومصرف زائد.

فاللازم على ولىّ الأمر سلطان الإسلام والمسلمين، نصره الله تعالى وشيّد به قواعد الدين، أن يقنّن لذلك قانونًا فيقطع هذا المسيل فى كل عامَيْن مرّة[1] من غير أن يحتاج إلى تجديد أمر جديد كل مرّة، ليستمرّ المسيل منهبطًا دائمًا لجريان السيل فيه صونًا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل إليه فى كل سيل يأتى، ويكون ذلك قانونًا مستمراً للسلاطين دائمًا ويُسطر ثواب ذلك فى صحائفه.

وكانت اليد البيضاء فى أداء هذه الخدمة الشريفة للأمير أحمد بك المشار إليه، أنعم الله تعالى عليه، وأكرم منزلته لَدَيْه، وأجرى كل خير بيَدَيْه، ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى، والمثوبات العظيمة الكبرى.

وأخبرنى الأمير أحمد المشار إليه[2] أن الذى أصرفه فى عمارة المسجد الحرام هدمًا وبناءً وقطعًا لأرض المسيل من جهة الجنوبى إلى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة إلى آخر مجرى سرداب العتبة من خاصّة أموال السلطنة، مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى، وعشرة آلاف دينار ذهب جديد سلطانى وذلك غير ثمن الأخشاب المجهّزة من مصر إلى مكة وغير ثمن الجريد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمجارف والمسامير والحديد المحدّد رأسه بطول الرواقين وبين الأسطوانتين تحت كل عقد، كيلا يجلس عليه طير الحمام وغيره فيلوث المسجد بذرقه، وهذا الحديد لتحديد رأسه وتواصله يمنع من جلوس الطير عليه، وغير أهلّة القبب التى عُملت بمصر من النحاس وطُليت بالذهب وجُهّزت إلى الحرم الشريف فرُكبت على أعلى القبب فصار لها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف واقفة بالأساكف من الذهب بغاية السكون والأدب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة وإجلالاً.

(١) منائح الكرم ٣/ ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٤٧٧.

وأثمان جميع ذلك خارج عن القدر المذكور المصروف فى العمارة الشريفة، وكان عمل أهلّة قبب المسجد الحرام بمصر بأمر بكلاربكى مصر الآن، نائب السلطنة الشريفة بها فى هذا الزمان، أمير الأمراء العظام، كبير الكبراء الفخام، محيى البلاد والعباد بعدله الأسمى، سَمِيُّ روح الله مسيح باشا والأسماء، تنزل من الأسماء، زاد الله شأنه عظمًا، وأنعش بإحيائه عظام العلماء العظما، والسادات الأجلا الكرما، وأفاض على أهل الحرمين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس، وزرع بسحاب معدلته ومرحمته بذْر محبّته ومودّته فى قلوب الناس، وأعانه على البرّ والتقوى، وصانه وحماه عن جميع الأسواء وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة، وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة.

ولقد كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمّر ما فيها من الخراب، وأبرأ جميع ما بها وبأهلها من الأمراض والأوصاب، وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح، وجهّز إليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية وشرّحها إليهم أحسن تشريح، فهم داعون بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الأعظم المحسن الجزيل الإحسان، حيث ولى رعاياه من يرؤف بهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان، أدام الله سعادته ورقاه، وحفظه ورعاه، وحماه من الأسواء ووقاه.

* * *

فصل فى ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما كانت عليه قبل هذه العمارة الشريفة ثم ذكرها على ما صارت عليه الآن

اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام فى جوانبه الأربعة غير الزيادتين أربعمائة أسطوانة وتسع وستون أسطوانة، وما على أبوابه سبع وعشرون أسطوانة، فتكون جملة أساطين الجوانب الأربعة من المسجد الحرام وأساطين أبوابه الشريفة أربعمائة أسطوانة وستًا وتسعين أسطوانة بتقديم التاء على السين، غير ما كانت من أساطين الزيادَتَيْن، فكانت فى الجانب الشرقى ثمان وثمانون أسطوانة كلُّها رخام مخروط ما عدا أسطوانة واحدة فى الصفّ الأوسط عند باب علىّ فإنها من الآجر مبنية بالنورة مبيّضة بالجصّ، فكان فى الجانب الشمالى ويقال له الشامى مائة أسطوانة وأربع أساطين كلُّها رخام ما عدا أربع عشرة أسطوانة من آخر الصفّ الأوسط ممّا يلى باب العجلة إلى باب السدّة فإنها حجارة منحوتة.

وكان فى الجانب الجنوبى ويقال له اليمانى مائة وأربعون أسطوانة كلُّها رخام ما عدا خمسًا وعشرين أسطوانة فى مؤخّر هذا الرواق عند أبواب أُمّ هانئ فإنها كانت حجارة منحوتة.

وكان فى الجانب الغربى سبع وثمانون أسطوانة كلُّها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة فى شكل نصف دائرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتان إلى أن يطول فى شكل أسطوانة الرخام مسبوك بينهما بالرصاص فى داخلها ووسطها حديد بطول الأسطوانة منحوت مكانه فى وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص فى داخلها ووسطها حديد بطول الأسطوانة منحوت مكانه فى وسط الحجر مسبوك عليه بالرصاص، عمل ذلك فى أيام الملك الناصر فرج ابن برقوق لما احترق هذا الجانب الغربى من المسجد الحرام فى آخر شوّال

سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدّم شرحه فى محلّه، فيكون جميع ما أدركناه من الأساطين الرخام ثلاثمائة وأربعين أسطوانة، وجميع ما فيه من الأساطين غير الرخام مائة وتسعًا وعشرين أسطوانة.

وأمّا أساطين زيادة دار الندوة فأدركناها ستًا وستّين أسطوانة من جوانبها الأربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطليّة بالجصّ الأبيض من ظاهرها، وقد ينكشف عنها الجصّ فيظهر الحجر الغشيم، منها فى الجانب الشرقى اثنتا عشرة أسطوانة، وفى الجانب الشمالى عشرون وفى الجانب الغربى إحدى عشرة، وفى الجانب الجنوبى ثلاث وعشرون أسطوانة.

ثم فى أيام دولة المرحوم السعيد الشهيد السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والرضوان، أمر أميرًا من أمرائه بجُدَّة هو الأمير خوشكلدى فى سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن يهدم قبّة مقام الحنفى الذى كان بناه مصلح الدين الأمير فى ابتداء الفتح العثمانى لممالك العرب، وأن يُبنى مكانه مربّعًا على وضعه الباقى إلى آننا هذا، فجاء فى فكره أن يجعل فى المسجد الشريف حاصلاً واسعًا لحفظ مُؤَن المسجد وأخشابه وآلاته، وأن يجعل إلى جانبه حاصلاً آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه، فعمد إلى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقى منها حاصلَيْن حجّره وبنى عليه وجعل له بابين لهذه المصلحة، واستمرّ كذلك إلى أيام دولة هذا السلطان الأعظم، فأُعيد ذلك المحلُّ المحجور من المسجد الحرام مسجدًا كما كان.

وأمّا زيادة باب إبراهيم فقد كان فيها فى الرواق سبع عشرة أسطوانة من الحجر المنحوت صفَّيْن متّصلين فى الرواق القبلى الذى يلى المسجد الحرام اثنتان منها برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الحوزى على يسار المستقبل وفى الجانب الشمالى ستّ أساطين، وفى الجانب الجنوبى ست أساطين، إحداها لاصقة بالمنارة التى كانت لهذه الزيادة ولم تكن بالجانب الغربى من هذه الزيادة أساطين.

ثم فى أيام السلطان قانصوه الغورى أرسل أميراً من أمرائه يقال نه خير بك المعمار لتعمير زيادة باب إبراهيم فى حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة، فبنى على باب إبراهيم قصراً مرتفعاً مع مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد عزلاً ومساكن، وبنى خارج ذلك ميضأة تشتمل على مراحيض وبركة ماء، وقف ذلك جميعه على جهات خير، وبنى من داخل باب إبراهيم على يمين الداخل حاصلاً فى أرض المسجد وفى عُلُوّه مسكنًا وعلى يسار الداخل مثله وقرّر فيها بعض المستحقّين، وجعل فى الجانب اليمانى من هذه الزيادة حاصلاً يشتمل على سبيل ماء وصهريجًا كبيراً يمتلئ من ماء المطر من سطح المسجد، وأبقى الجانب القبلى والجانب الشمالى على حالهما، وفرغ الأمير خير بك المعمار من ذلك فى حدود سنة عشرين وتسعمائة.

وأمّا عدد شرافات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرافة وسبعة أنصاف شرافات، وأما الشرافات التى كانت على جدر المسجد من خارجه فهى اثنتان وخمسون شرافة متفرّقة على أبواب المسجد الحرام، وفيما بينها دور وربط ومدارس متّصلة بجدر المسجد الحرام ليس فيها شرافات، وكانت فى زيادة دار الندوة من جوانبها الأربعة التى تلى بطنها اثنتان وسبعون شرافة، ولا شرافة للجهة الخارجة لإحاطة الدور بها وكانت فى زيادة باب إبراهيم مما يلى بطنها فى ثلاث جهات منها، وهى القبلى واليمانى والشامى بضع وأربعون شرافة.

وأمّا أبواب[1] المسجد الحرام فهى تسعة عشر بابًا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقًا، وهى باقية على حالها ما عدا باب واحد فى زيادة دار الندوة، وكان يفتح على طاقَيْن فزادها الأمير قاسم أمين ببناء المدارس الشريفة السلطانية السليمانية طاقًا واحداً وصار على ثلاث طاقات، فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعة وثلاثين طاقًا فى كل طاق درفتان، وسيأتى تفصيلها بعد ذكر الأسطوانات المتجددة فى عصرنا هذا، والذى اشتمل عليه

(١) منائح الكرم ٣/ ٤٧٩.

المسجد الحرام الآن من الأساطين الرخام والأساطين الصفر الشميسى والقبب والطواجن والمصلّبات وشراريف المسجد الحرام فهى ما نذكره.

فأما الأسطوانات الرخام[1] فعددها ثلاثمائة وإحدى عشرة أسطوانة، ففى جهة شرقى المسجد الحرام وهو ما يقابل باب البيت الشريف اثنتان وستون أسطوانة رخامًا، وفى جهة شاميّه ويقال له: الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف إحدى وثمانون أسطوانة رخامًا.

وفى جهة غربيّه وهو ما يقابل المستجار العظيم أربع وستون أسطوانة منها ستّ من الحجر الصوّان والباقى من الرخام.

وفى جهة جنوبيّه وهو ما يقابل الركنَيْن ثلاث وثمانون أسطوانة منها إحدى عشرة من الحجر الصوان والباقى من الرخام، وفى زيادة دار الندوة خمس عشرة أسطوانة من تلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب إبراهيم ست أسطوانات من الرخام.

وأما الأسطوانات الشميسى الصفر[2] فجملتها مائتان وأربع وأربعون أسطوانة، وهى عبارة عن شكل مثمَّن أو مسدَّس أو مربَّع على حسب ما اقتضاه المكان، وهى فى طول الأسطوانة العُليا مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثها الأعلى من الحجر الشميسى المنحوت، فمن ذلك فى جهة شرقى المسجد الحرام ثلاثون أسطوانة، وفى جهة شاميّه أربع وأربعون أسطوانة، وفى جهة غربيّه ست وثلاثون أسطوانة، وفى جهة جنوبيّه ست وسبعون أسطوانة، وأربع فى أركان المسجد الحرام، وفى زيادة دار الندوة ست وثلاثون وفى زيادة باب إبراهيم ثمانى عشرة.

وأما القبب فعددها مائة واثنتان وخمسون قبة، فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام أربع وعشرون قبة، وفى الجانب الجنوبى ست وثلاثون قبة، وواحدة فى ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة، وفى زيادة دار الندوة

(١) انظر فى ذلك: إعلام العلماء ص١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص١٣٤.

قبة، وفى زيادة باب إبراهيم خمس عشرة.

وأما الطواجن فجملتها مائتان واثنان وثلاثون طاجنًا، ففى الجانب الشرقى ثمانية وثلاثون طاجنًا وفى الجانب الشامى تسعة وخمسون طاجنًا، وفى الجانب الغربى ثلاثة وأربعون طاجنًا، وفى الجانب الجنوبى أربعة وستون طاجنًا، واثنان تحت مئذنة باب السلام، وواحد فى ركن المسجد الحرام من جهة باب السلام، وواحد فى ركن المسجد الحرام من جهة باب العمرة، وفى زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنًا[١].

وأما المصلبات فجملتها ست وخمسون مصلبًا، ففى جهة شرقى المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة، وفى جهة شاميّه اثنان وعشرون وفى جهة غربيّه ستة عشر، وفى جهة جنوبيّه خمسة عشر[٢].

وأما الشرَّافات فجملتها ألف وثلاثمائة وثمانون، فمن ذلك فى شرقى المسجد الحرام مائتان واثنتان وستون شرافة فمن الرخام سبع وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة، ومن الحجر الشميسى مائة وخمس وثلاثون، وفى جهة شاميّه ثلاثمائة وواحدة وأربعون فمن الرخام ثمان وسبعون شرافة منها ثلاث طوال والباقى من الحجر الشميسى، وفى جهة غربيّه مائتان وأربع، من الرخام اثنتان وعشرون فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى، وفى جهة جنوبيّه ثلاثمائة وخمس وثلاثون، فمن الرخام سبعون فى وسطهن واحدة طويلة والباقى من الحجر الشميسى، وفى زيادة دار الندوة مائة وإحدى وتسعون من الحجر الشميسى، وفى زيادة باب إبراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسى لا غير[٣].

• وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدّتها تسعة عشر بابًا تفتح على تسعة وثلاثين طاقًا فى كل طاق درفتان فيها خوخة تفتح.

(١) إعلام العلماء ص١٣٥.

(٢) إعلام العلماء ص١٣٥.

(٣) المصدر السابق ص١٣٦.

فمنها بالجانب الشرقى أربعة أبواب:

الأول: باب السلام ويُعرف بباب بنى شيبة، وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدّد فيه شيءٌ لكونه عامرًا محكم البناء، وفى الدرفة اليمنى من الطاق الأوسط خوخة تغلق الدرفتان وتفتح الخوخة ليلاً لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترد الخوخة كما كانت وهكذا جميع الخوخات.

الثانى: طاقان ويعرف بباب الجنائز وبباب النبى ﷺ، ولم يجدّد فى هذا الباب غير الشرافات التى عليها وعدّتها أربع وعشرون شرافة.

الثالث: ثلاث طاقات ويعرف بباب العبّاس لمقابلته لداره رضى الله عنه، ويعرف أيضًا بباب الجنائز.

الرابع: ثلاث طاقات ويعرف بباب علىّ وبباب بنى هاشم، وقد جدّد هذا الباب والذى قبله على أحسن وضع وعدد ما عليهما من الشرافات مائة وخمس عشرة شرافة[1].

وبالجانب الجنوبى سبعة أبواب:

الأول: طاقان ويقال له باب بازان لأنّ عين مكة المعروفة ببازان قريبة منه، وقد جدّد هذا الباب بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرافات ست عشرة شرافة.

الثانى: طاقان ويعرف بباب البغلة ـ بباء موحدة وغين معجمة ـ وقد جدّد هذا الباب أيضًا ولم يُعمل عليه شىء من الشرافات.

الثالث: باب الصفا لأنه يليه ويعرف أيضًا بباب بنى مخزوم، وهو خمس طاقات وقد جُدّد هذا الباب تجديدًا حسنًا وعدد شرافاته تسع وعشرون.

الرابع: طاقان ويعرف باب أجياد الصغير، وقد جدّد وعدد شرافاته تسع عشرة شرافة.

---

(١) إعلام العلماء ١٣٦ ـ ١٣٧.

الخامس: طاقان ويعرف بباب المجاهدية، ويقال له باب الرحمة وقد جدّد هذا الباب أيضًا وعدد شرافاته عشرون.

السادس: طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتّصاله بها، وقد جدّد هذا الباب أيضًا وعدد شرافاته عشرون.

السابع: طاقان ويعرف بباب أُمّ هانئ، وقد جدّد هذا الباب ببناء حسن لطيف، وأسلوب ظريف وعدد شرافاته ثلاث عشرة شرافة[١].

وبالجانب الغربى ثلاثة أبواب:

الأول: طاقان ويعرف بباب الحزورة ولم يجدّد فى هذا الباب أيضًا شىء أصلاً لعمارته.

الثانى: طاق واحد كبير يقال له باب إبراهيم، ولم يجدّد هذا الباب أيضًا لعمارة قصره، لأن قصر الغورى مبنىٌّ عليه.

الثالث: طاق واحد ويعرف بباب العُمرة لأن المعتمرين من التنعيم يدخلون ويخرجون منه فى الغالب، كان يُسَمَّى قديمًا باب بنى سَهْم، وقد جدّد هذا الباب وعدد شرافاته ثمانى شرافات[٢].

وبالجانب الشمالى[٣] خمسة أبواب:

الأول: طاق واحد ويعرف بباب السدّة، وكان يقال له قديمًا باب عمرو ابن العاص رضى الله عنه، وقد جدّد هذا الباب أيضًا وعدد شرافاته ستّ.

الثانى: طاق واحد ويعرف بباب العجلة وبباب الباسطيّة لاتّصاله بمدرسة عبد الباسط المتقدّم ذكرها، وقد جدّد هذا الباب أيضًا وعدد شرافاته سبع.

الثالث: طاق واحد بزيادة دار الندوة فى ركنها الغربى ولم يجدّد هذا الباب أيضًا.

---

(١) إعلام العلماء ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ١٣٨.

(٣) فى ل: «الشامى»، والمثبت من م، وإعلام العلماء وهو ينقل عن المصنف.

الرابع: ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها الشامى، وقد كان هذا الباب قديمًا طاقَيْن إلى أن أمر الأمير قاسم بك المرحوم ببناء المدارس السلطانية ففتح طاقًا ثالثًا ثم هُدمت الطاقات الثلاث عند بناء المسجد الحرام وأُعيدت كما كانت، وعدد شرافاته اثنتان وعشرون شرافة.

الخامس: طاق واحد ويعرف بباب الدُّرَيْبَة بالقرب من منارة باب السلام، وقد جَدَّدَ هذا الباب الأمير قاسم بك المذكور سابقًا عند بنائه للمدارس السليمانية[1].

• **وأمّا منائر المسجد الحرام**[2] فهى الآن ستٌّ منائر يؤذن عليها فى الأوقات الخمسة.

أولاها: منارة باب العُمرة عمّرها أبو جعفر المنصور ثانى ملوك بنى العبّاس، وعمرّها بعده وزير صاحب الموصل محمد الجواد بن على بن أبى منصور الأصفهانى فى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وكان رئيس المؤذّنين يؤذن بها فى زمن الفاكهى ويتبعه سائر المؤذنين، ثم صار فى زمن التقى الفاسى يؤذن رئيس المؤذنين بباب السلام ويتبعه سائر المؤذنين، وهو الآن يؤذن الأوقات الخمسة على قبة زَمْزَمَ ويتبعه المؤذنون إلا ليالى رمضان فى التسحير فإن رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون فى التسحير واحدًا بعد واحد، وكذلك فى التمجيد والتوديع والتذكير ونحو ذلك، وقد أدركنا هذه المئذنة وهى عتيقة البناء فأمر بتجديدها المرحوم المقدس المغفور السلطان سليمان خان فهُدمت إلى الأرض وبُنيت بالآجر، وأُعيدت كما كانت بدَوْر واحد فى عُلُوّه، إلا أنهم غيّروا رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم، وكانت أسلوب منائرُ مصر يعلق عليها فى رأسها ثلاثة قناديل فى ثلاثة أعْواد مغروزة فى قبة صغيرة على رأس المئذنة، وكان ذلك فى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة.

---

(١) المصدر السابق ص١٣٩.

(٢) انظر فى ذلك: إعلام العلماء ص١٤٠.

وثانيتها: منارة باب السلام عمّرها المهدى بن المنصور العباسى الذى وسّع المسجد الحرام سنة ثمان وستين ومائة، وهى بدَوْرَيْن، ثم تهدّمت فى زمن الناصر فرج بن برقوق فى سنة عشر وثمانمائة وأُعيدت وهى باقية إلى الآن.

وثالثتها: منارة علىّ وأول من عمرّها المهدى العباسى ابن المنصور لما عمّر منارة باب السلام، واستمرّت إلى أن أدركناها وقد آلت إلى الخراب، وكانت بدور واحد فى أعلاها، فأمر المرحوم السلطان سليمان خان، عليه التحيّة والروح والريحان، فهُدمت وأعيدت من الحجر الأصفر الشميسى، وجُعل لها دوران أعلى وأسفل، وغُيّر رأسها على أسلوب منائر الروم.

ورابعتها: منارة الحَزْوَرة وهى بدَوْرَيْن، وأول من بناها المهدى العباسى، ثم عُمّرت فى زمن الأشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت فى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها فى مفتتح المحرّم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما ـ وهى باقية إلى الآن.

وخامستها: منارة باب الزيادة وهى قديمة بدورَيْن، ولعلّ المعتضد العباسى بناها لمّا بنى زيادة الندوة، ثم سقطت وأنشأها الملك الأشرف برسباى فى عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو فى حجر بجنب المئذنة.

وسادستها: منارة مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله، بناها على عقد باب مدرسته التى إلى جهة المَسْعَى فى غاية الصناعة بثلاثة أدوار، افتخر بصنعتها مهندس عصره على مهندسى زمانه وبنى نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد الخيف بِمِنًى فرغ من بنائهما فى حدود سنة ثمانين وثمانمائة.

وسابعتها: منارة السلطان الأعظم المغفور الأقدس السلطان سليمان، تغمّده الله بالرحمة والرضوان، أمر ببنائها فى أحد مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة، وهى منارة فى غاية العُلُوّ والارتفاع، مشرفة على الآفاق والبقاع، مبنيّة بالحجر الشميسى الأصفر، مسبوكة سبك الذهب

الأحمر، لها ثلاث دوائر مرفوعة، وأساسات محكمة موضوعة، رأسها على أسلوب منائر بلاد الروم، تكاد تلازم معارج النجوم، وتغوص فى الأرض فى مدارج التخوم، بناها المرحوم الأمير قاسم أمين عمارة المدارس السلطانية السليمانية وسنجق جُدَّة المعمورة فرغ من بنائها فى أثناء سنة ثلاث وتسعمائة، وهذه هى المنائر السبع التى حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين فى الأوقات الخمسة وفى رمضان وغيره.

وكانت على المسجد الحرام منائر أخرى ذكرها أصحاب التواريخ، فمنها على باب إبراهيم: منارة شبه صومعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لإشرافها على داره، ذكرها التقى الفاسى رحمه الله تعالى[1].

ومنها منارة ذكرها ابن جُبَيْر على باب الصفا، قال: وهى أصغرها وهى علم لباب الصفا ولا يُصْعَد إليها لضيقها انتهى.

ومنها منارة على الميل الذى يهرول عنده من يَسْعَى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهى، وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهُدمت ولا يُعْلَم من بناها ولا متى هُدمت، وبعُلُوّ مكة شرفها الله تعالى منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر جُبَيْر بن مُطْعم بن عدى بن نَوْفَل، ويقال: إن النبى ﷺ ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهى منارة عتيقة ذهب رأسها، وكان لها دوران ولا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير فى مغرب شهر رمضان ويعلق فيها قنديلاً لإعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للإفطار فى رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور إعلامًا بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الأكل والشرب وهو باقٍ إلى الآن.

وذكر التقى الفاسى رحمه الله أن المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة فى الشعاب والمحلاّت، وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجرى عليهم، وأول من جدّد تلك المنائر على رءوس الجبال

(١) شفاء الغرام ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

وفجاج مكة وشعابها هارون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقًا، وكان لعبد الله بن مالك الخُزاعى على جبل أبى قُبَيْس منارة، وعلى القلة منارة، ومنارة مشرفة على أجياد، ومنارة إلى جنبها، ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على المجزرة، ومنارة فى شعب عامر، وعلى جبل تفاحة وجبل الأعرج وعلى الجبل الأحمر ومنائر كثيرة عددها، ورأيت فى تعليقة أنها كانت خمسين منارة فى شعاب مكة، قال التقى الفاسى: وقد تُرك الأذانُ على جميع هذه المنائر[1]. وما بقى شىء منه والله أعلم.

* * *

(١) شفاء الغرام ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

obeikandl.com

الخاتمة

فى ذكر المواضع المباركة والأماكن المأثورة بمكة المشرفة

• فمنها: المواضع التى نصّ العلماء رحمهم الله أن الدُّعاء فيها مستجابٌ، وذكر الحسن البصرى رضى الله عنه خمسة عشر موضعًا يستجاب الدعاء فيها وعدّدها وزاد غيره مواضع أخرى فبلغت ثلاثة وخمسين موضعًا وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها، وهى مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربتُهُ مرارًا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة، وعند زمزم، وخلف المقام، وعلى الصفا، وعلى المروة، وفى المَسْعَى، وفى عرفات، وفى المزدلفة وفى مِنًى، وعند الجمرات الثلاث وعددها ثلاثة مواضع، غير أن علماءَنا ذكروا أن الحاجّ يقف للدعاء بعد الرمى عند الجمرة الأولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمى عند الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة، ويظهر من كلامهم أن الوقوف للدعاء بعد رمى جمرة العقبة غير مأثور لأنه لا يُدعى هناك فقد ذكر الحسن البصرى أن الدعاء عندها مستجاب كالجمرتَيْن الأولَيْن.

وعدّ أبو سهل النيسابورى من المواضع التى يستجاب فيها الدعاء باب النبى ﷺ ويقال له الآن باب الحريريّين، وباب القفص وعدّ منها باب الصفا وباب السلام.

وعدّ القاضى مجد الدين الفيروزآبادى فى كتابه الوصل والمنى[1] فى فضل مِنًى مواضع أخرى يستجاب فيها الدعاء نقلاً عن النَّقَّاش المفسّر فى مناسكه، فقال:

ويستجاب الدعاء فى ثبير وفى مسجد الكبش، وزاد غيره فقال: وفى

(١) تحرف فى ل إلى: «الموصل» وصوابه من م، وشفاء الغرام والجامع اللطيف.

مسجد الخيف، وزاد آخر: وفى مسجد النحر وهو موجود الآن بمِنًى غير أنه داثر عمَّر الله من عمّره نحر فيه النبىُّ ﷺ فى حجّة الوداع ثلاثًا وستين بدنة، وأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يكمل نحر بتمّة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور.

وزاد الحافظ ابن الجوزى وفى مسجد الخيف على يمين الذاهب إلى عرفات فى هذا الغار تجويف فى سقفه تزعم العامّة أنه لان لرأس النبى ﷺ فأثر فيه تجويفًا فيَضَعُ الزائر رأسه فيها تيمُّنًا وتبرُّكًا بموضع رأس النبى ﷺ، ولم أقف على خبر أعتمده فى ذلك إلا أن الأثر وارد بنزول سورة المرسلات.

قال القاضى النَّقَّاش: ويستجاب الدعاء فى دار خديجة أُمّ المؤمنين رضى الله عنها، وهى معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضى الله عنها لأنها وُلدت فيها وهى وجميع أولاد خديجة من النبى ﷺ، وفيها بنى ﷺ بها وتوفّيت بها، ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساكنًا فيها إلى أن هاجر إلى المدينة، فأخذها عقيل بن أبى طالب، ثم اشتراها منه معاوية بن أبى سفيان فجعلها مسجداً يصلّى فيه، كذا ذكره الأَزْرَقى[1] رحمه الله.

وعُمر هذا المحلُّ الشريف فى زمان الناصر العباسى، وفى زمان الأشرف شعبان صاحب مصر، وعُمر أيضًا فى دولة الناصر فرج بن برقوق صاحب مصر، وعمّره أيضًا الملك المظفّر الغَسَّانى صاحب اليمن.

وكان المرحوم السلطان سليمان خان سقى الله عهده أمر بتعمير هذا المكان الشريف فعمروا فيه مسجداً يصلّى فيه ومزارا تجتمع فيه الفقراء للذكر كلّ جمعة بعد الصلاة إلى العصر وكلّ ليلة ثلاثاء من العشاء إلى الصُّبح يذكرون الله تعالى، وكانت عمارتها فى سنة خمس وثلاثين وتسعمائة .

قال: ويستجاب الدعاء فى مولد النى ﷺ وهو موضع مشهور بشعب بنى هاشم يزار إلى الآن، وفى لحفه مسجد يُصَلَّى فيه ويكون فى كل ليلة اثنين

(١) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ١٩٩.

فيه جماعة يذكرون الله تعالى ويزار فى الليلة الثانية عشر من شهر ربيع الأول فى كل عام، فتجتمع الفقهاء والأعيان على ناظر المسجد الحرام والقضاة الأربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرعات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة، ويخرجون من المسجد إلى سوق الليل ويمشون فيه إلى محلّ المولد الشريف بازدحام ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة، ثم يعودون إلى المسجد الحرام ويجلسون صفوفًا فى وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية، ويقفُ رئيس زمزم بين يدى ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبّسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفَرَّاشين خلعة ثم يؤذن للعشاء ويصلّى الناس على عادتهم، ثم تمشى الفقهاء مع ناظر الحرم إلى الباب الذى يخرج منه من المسجد ثم يتفرّقون.

وهذه من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة، ويأتى الناس من البدو والحضر وأهل جُدَّة وسُكَّان الأودية فى تلك الليلة لإحياء هذه الليلة ويفرحون بها، وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم السلام، وكيف لا يجعلونه عيدًا من أكبر أعيادهم، غير أن بعض المتعسّفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه بزعمه أنه يجتمع فيه من الملاهى والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وأفضى ذلك إلى ما لا يحل شرعًا فيكون بدعة، ولم يحك عن السلف شىء من ذلك.

والصواب أن مثل هذه الجمعية إن حُفظت عمّا ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهّم من وقوع الملاهى فهى بدعة حسنة، تتضمّن تعظيم النبى ﷺ بالذكر والدعاء والعبادة، وقراءة القرآن، وقد أشار النبى ﷺ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله عليه الصلاة والسلام للذى سأله عن صوم الاثنين: «ذاك يوم وُلِدْتُ فيه»، فتشريف هذا اليوم متضمّن لتشريف هذا الشهر الذى هو فيه، فينبغى أن يحترم غاية الاحترام، بشغله بالعبادة والصيام، والصلاة والقيام، ويظهر السرور فيه بظهور سيّد الأنام،

عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأمّا المبتدعات السيّئة والمنكرات فهى محرمة فى كل مقام والله ولىّ الاعتصام، وكان بعض العلماء قيّد إجابة الدعاء فى مولد النبى ﷺ عند الزوال وفى دار السيدة أُمّ المؤمنين خديجة بنت خُوَيْلد بليلة الجمعة.

وقال المحبّ الطبرى: إن دار خديجة رضى الله عنها أفضل المواضع بمكة بعد المسجد الحرام، وذلك لطول سُكنى رسول الله ﷺ فيها، وكثرة نزول الوحى عليه بها، وفيها مولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها[1].

• **ومنها:** دار الخيزران وهى من قرب الصفا كانت تُسَمَّى دار الأرقم المخزومى ثم عُرفت بدار الخيزران، والمُخْتبى هو أفضل المواضع بمكة بعد دار أمّ المؤمنين خديجة رضى الله عنها لكثرة مكث النبى ﷺ فيه يدعو الناس إلى الإسلام مستخفيًا عن أشرار قريش الكفار، ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام[2].

وقد وقت بعض العلماء الدعاء فيها بما بين العشاءَيْن والمختبى قبّة تُزَار، وهو الموضع الذى كان النبى ﷺ يختبئ فيه من الكفار ويجتمع عليه فيه مَنْ آمن به ويصلّى بهم الأوقات الخمسة سرًا إلى أن أسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجهر بالإسلام وبالصلاة وأعزّ الله الإسلام به، ودار الخيزران هى دور حول هذا المختبى ملكتها الخَيْزُران أُمُّ الرشيد شراءً لما حجّت، وتناقلت من يد الملاك إلى أن صارت الآن من جملة أملاك السلطان الملك المظفر المنصور الأعظم مراد خان الأكبر الأفخم عمرّ الله تعالى بمعدلته الربع المسكون، وأسعده فى كل ما يصدر عنه من الحركة والسكون.

• **ومنها:** فى جبل ثور عند الظهر وفى جبل ثبير وحِرَاء مطلقًا.

• **ومنها:** مسجد البيعة وهو المسجد على يسار الذاهب إلى منًى بينه وبين العقبة التى هى حدُّ منًى مقدار غلوة أو أكثر، وهو مسجد متهدّم فيه حجران

(١) القرى ص٦٦٤.

(٢) شفاء الغرام ١/ ٤٤٠.

مكتوب فيهما ما يدلُّ على ذلك، فى أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع بها رسول الله ﷺ عند عقده له العبّاس بن عبد المطّلب وأنه بنى فى سنة أربع وأربعين ومائة والمشار إليه أبو جعفر المنصور العباسى، وعمّره أيضًا المستنصر العباسى كما فى حجر آخر بناه فى سنة تسع وعشرين وستمائة، وتلك الأحجار ملقاة بذلك المحلّ الخراب يُخْشَى عليها الضياع فيندثر أثر هذا المسجد[1].

وكان المرحوم إبراهيم دفتردار مصر سابقًا أمين عين عرفات رحمه الله شرع فى تجديد هذا المسجد وأسّسه وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفى إلى رحمة الله تعالى قبل أن يتمّه، وما وفق أحدٌ بعده إلى الآن إلى إتمامه، وهو من المساجد المأثورة النبوية، وهو الذى بايع فيه النبى ﷺ سبعون من الأنصار بحضرة عمّه العباس بن عبد المطّلب رضى الله عنه، فنادى أَرَبُّ العقبة وهو شيطان ذلك المكان: معاشر قريش إن الأَوْس والخَزْرج بايعوا محمّدًا على أن ينصروه فأمسكت الأنصار بقوائم سيوفها وقالوا لنقاتلن الأسود والأحمر دون رسول الله ﷺ فكفاهم الله تعالى ببركة نبيّه ﷺ شرّ ذلك الشيطان.

ثم هاجر النبىُّ ﷺ هو وأبو بكر رضى الله عنه إلى المدينة لمّا أذن لهما فى الهجرة، وهذا مسجد شريف يستجاب فيه الدعاء، فرحم الله من يكون سببًا فى تجديده وعمارته.

• **ومنها:** مسجد الْمُتَّكَا يستجاب فيه الدعاء غداة يوم الأحد وأنكر الأزرقى وجوده. وقال القاضى أبو البقاء بن الضياء الحنفى فى البحر العميق: إن بأَجْياد الصغير موضعًا يقال له المتّكى وهو دكّة مرتفعة عن الأرض ملاصقة لدار بعض بنى شيبة، قُلْتُ: وهذه الدَّكَّة دثرت الآن وما بقى منها إلا بعض أحجارها وطالما سألتُ كثيرًا من الأعيان أن يعمِّروها ويعيدوها

(١) شفاء الغرام ١/ ٤٢٠.

كما كانت فما وفق أحد لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبًا لمن وفقه الله لذلك.

وذكر النَّقَّاش فى مناسكه المواضع التى يستجاب فيها الدعاءُ بمكة ووَقَّتَ لكلّ بقعة أوقاتًا معينة، فقال: أمّا خلف المقام وتحت الميزاب ففى السحر وعند الركن اليمانى وقت الفجر، وعند الحجر الأسود نصف النهار، وعند الملتزم نصف اللَّيل، وداخل زمزم عند غيوبة الشفق، وداخل البيت عند الزوال، وعلى الصفا والمروة عند العصر، وبِمنًى ليلة البدر شطر الليل، وبالمزدلفة عند طلوع الشمس، وبعرفة وقت الزوال، وتحت السدرة وهى غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس. كذا ذكره النَّقَّاش رحمه الله.

• ومنها: جبل أبى قُبَيْس، وإنما سُمّى به لأن رجلاً من إياد يكنى أبا قُبَيْس صعد فيه وبنى فيه بناءً فعرف به، قال الفاكهى: إن الدعاء فيه يستجاب، وإن وفد عاد قدموا إلى مكة للاستسقاء لقومهم فأمروا بالطلوع إلى أبى قبيس للدعاء، وقيل لهم لم يَعْله خاطئٌ يَعرف الله منه الإنابة إلا أجابه إلى ما دعاه إليه، وفيه على إحدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام.

قال الذهبى فى جزء له فى تاريخ آدم وبنيه ما نصه: وخلف بعده شيث ابنه وأنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودُفن مع أبويْه فى غار أبى قبيس[1]. انتهى.

وقال وهب بن منبه: حفر لآدم فى موضع من أبى قبيس يقال له غار الكنز فاستخرجه نوح عليه السلام يوم عرفة فجعله فى تابوت معه فى السفينة، فلما نضب الماء ردّه نوح إلى مكانه. انتهى[2]، وقيل غير ذلك.

وفى أعلى الجبل صهريج يزوره الناس وليس ذلك بقبر آدم عليه السلام، وإنما هو صهريج كان يُعَدُّ للماء لما كان فى رأسه قلعة قديمًا.

(١) شفاء الغرام ١/ ٤٤٢.

(٢) شفاء الغرام ١/ ٤٤١.

وزعم الناس أن من أكل يوم السبت فى جبل أبى قبيس رأسًا مطبوخًا يسلم من وجع الرأس طول عمره، والناس يتهافتون على ذلك فى كل صُبْح يوم سبت[١].

وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشقّ فيه للنبى ﷺ، وليس لذلك صحّة كذا ذكره السيد التقى الفاسىُّ ـ رحمه الله ـ[٢]. قال: وهو أول جبل وضعه الله تعالى فى الأرض[٣].

وذكر بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة وفضّله على جبل حِراء[٤] ونافس فى ذلك.

• **ومنها:** رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة يسمى رباط الموفَّق وقفه القاضى الموفق جمال الدين على بن عبد الوَهَّاب الإسكندرى فى سنة أربع ومائتين يُحكى عن الشيخ خليل أنه كان يكثر إتيانه ويقول: إن الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه، ويُروى عن المولى المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف أنه قال: ما وضعت يدى فى حلقة باب هذا الرباط إلا وقع فى نفسى كم وَلِىّ لله وضع يده فى هذه الحلقة.

وفى مقبرة باب المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أُمّ المؤمنين سيّدتنا خديجة الكبرى رضى الله عنها، وهو محلٌ فى شعب بنى هاشم كان فيه تابوت من خشب يزار فبَنَى عليه قُبَّة من الحجر الشميسى الأمير الكبير محمد بن سليمان جركز دفتردار مصر فى أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية فى أيام السلطان سليم خان تغمدّه الله بالرحمة والرضوان، بناه فى سنة خمسين وتسعمائة، وكسا التابوت الشريف كسوة فاخرة وعيّن له خادمًا ورتب له علوفة من خزائن الصدقات السلطانية العثمانية جارية عليه إلى

(١) شفاء الغرام ١/ ٤٤٦.
(٢) المصدر السابق ص٤٤٢.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤٤٦.
(٤) المصدر السابق ١/ ٤٤٦.

الآن، وكان من أهل الخير والجميل والمعروف، كريمًا جوادًا بَذْولاً، له إحسان كثير وجميل وافر، أحسن الله إليه، كما أحسن إليَّ وضاعف حسناته ومحا سيئاته.

حجّ إلى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الشامى وأحسن إلى الناس كثيرًا وعمّ الناس إحسانه، وكان يحبُّ العلماء والصلحاء ويكرمهم ويُحسن إليهم ويقضى حوائجهم بحيث كان يسمّون أيامه أيام تنفُّسات الدهر، ثم قُتل مظلومًا وسبق خُصَماءه إلى الله تعالى بدمائه وعند الله تجتمع الخصوم.

• **ومنها:** عند قبر السيد الفُضَيْل بن عياض رضى الله عنه، وقبر الإمام عبد الكريم بن هَوَازن القُشَيْرى رضى الله عنه وهما فى محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء كبراء، منهم الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السُّبْكى، والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالطواشى، وكثير من مشاهير الصلحاء، آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندى الرومى رحمه الله.

• **ومنها:** عند قبر سفيان بن عيينة رضى الله عنه.

• **ومنها:** عند قبر الشيخ أبى الحسن على الشولى رضى الله عنه، وذكر الشيخ خليل المالكى أن الدعاء عنده مستجاب، وكذلك عند قبور سماسرة الخير بالمعلاة، ويقال: إنه إذا أراد أن يدعو عند سماسرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره، وقد اندثرت تربة الملك المسعود الآن، إلا أن محلَّها فوق البئر المعروفة ببئر أم سليمان الموجودة الآن مرتفعًا عن طريق السبيل.

• **ومنها:** عند قبر الدَّلَاصى بالقرب من الجبل، قال المرجانى النهروالى فى بهجة النفوس: الدعاء عند قبره يستجاب.

• ومن المواضع التى جربتها أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرمانى النقشبندى طيب الله ثراه، ونفع ببركته أحباءه، توفى سنة تسع وعشرين وتسعمائة، وله كُتب جليلة فى طريق الصوفية أجلُّها كتاب

منظوم فى مقابلة المثنوى رحمه الله.

• **وفى مكة مواضع مباركة ومواليد متيمّنة ومساجد مأثورة غير هذه:**

• **فمنها:** مولد سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو بقرب مولد النبى ﷺ بقرب جبل أبى قُبَيْس من قفاه فى شعب يقال له شعب علىّ به مسجد يصلى فيه ومولد يزار، إلا أنه متهدّم الآن عمّر الله تعالى مَنْ عمّره.

• **ومنها:** موضع يقال له مولد سيّدنا حَمْزة رضى الله عنه فى أسفل مكة لاصق بموضع يسمّى بازان وهو مجرى عين حُنينْ إلى بركة ماجن.

قال السيد التقى الفاسى رحمه الله: لم أر شيئًا يَدُلُّ على صحّة هذا أن هذا المكان مولد السيد حمزة رضى الله عنه، لأن هذا المحلّ ليس محلاً لبنى هاشم، وطول هذا المحلّ خمسة عشر ذراعًا وثلث، وعرضه سبعة أذرع وربع، وفى صدره محراب وبابه فى الجدار الذى إلى جهة بركة ماجن[1]. انتهى.

وقد خرب الآن وامتلأ بالتراب فلا يظهر له محراب ولا باب ولا جدار، وهو قد سُمّى بمولد سيدنا حمزة فرحم الله مَنْ أحياه وعمّره.

• **ومنها:** موضع فى أعلى جبل يقال له جبل النوبى، يقال: إنه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يطلع إليه الناس للسَّيْر والفرجة لإشرافه على مكة، ومن الناس من يقصد الزيارة. قال التقى الفاسى رحمه الله: لا أعلم فى ذلك شيئًا يستأنس به غير أن جدّى لأُمى أبا الفضل النُّوَيْرى كان يزور هذا الموضع فى جمع من أصحابه فى الليلة الرابعة عشر من شهر ربيع الأول فى كل سنة انتهى[2].

قُلْتُ: وهذا باق إلى الآن يجتمع به بعض الفقراء فى الليلة الرابعة عشر

(١) شفاء الغرام ١/ ٤٣٥.

(٢) شفاء الغرام ١/ ٤٣٥.

من كل شهر يذكرون الله تعالى فيه إحياء لتلك الليلة.

• ومنها: موضع بقرب بابه العجلة، يقال: إنه مولد سيدنا جعفر الصادق ابن أبى طالب، يقال: إن النبى ﷺ دخلَه والله أعلم بحقيقة ذلك.

• ومنها: موضع فى زقاق المرفق محلٌّ فيه مسجد يقال إنه دُكَّان سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ويقال إنها داره وبناه نور الدين عمر بن على بن رسول الغسّانى صاحب اليمن قبل أن يَئُول الملك إليه فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر يتبرك الناس بلمسه يقال: إنه كان يسلم على النبى ﷺ متى اجتاز عليه.

قال التقى الفاسى رحمه الله : لعلّ هذا الحجر ـ إن صح كلامه للنبى ﷺ ـ هو الحجر الذى عناه النبى ﷺ بقوله: «إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يُسَلِّم علىَّ ليالى بُعِثْتُ»[1]. انتهى.

قلت: وبقرب هذا الحجر قبل أن يوصل إليه فى مقابلته على يسار المستقبل صفحة حجر مبنى فى الجدر فى وسطه حفرة مثل محلّ المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبى ﷺ اتّكأ عليه فغاص مرْفقه الشريف فى ذلك الحجر وهو يكلّم الحجر الذى أمامه على شماله.

قال القاضى أبو البقاء بن الضياء فى البحر العميق: ذكر سعد الدين الإسفراييني فى كتاب زبدة الأعمال: أن بعض الجهال من أهل مكة يمشون إذا أرادوا المواليد من دار خديجة رضى الله عنها إلى مسجد يقولون إنه دُكَّان أبى بكر الصديق كان يبيع فيه الخزَّ وأسلم فيه على يده عثمان بن عَفَّان وطلحة والزبير رضى الله عنهم، قال: وفى جدار هذا الدُّكَّانِ أثر مرفق رسول الله ﷺ يروى أن رسول الله ﷺ جاء دار أبى بكر ذات يوم ونادى يا أبا بكر رضى الله عنه.

قلتُ: والجدار الذى فيه المرفق بعيد عن دُكَّان أبى بكر رضى الله عنه إلى

(١) شفاء الغرام ١/ ٤٣٩.

ناحية القبلة بينهما دُورٌ، وما رأيت فى كلام أحد من المؤرخين من حقق شيئًا من ذلك والله أعلم بحقيقته.

• ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العبّاس رضى الله عنه بالمَسْعَى عند أحد الميلين الأخضرين، وهى الآن رباط يسكنه الفقراء.

• ومنها: موضع بلحف جبل قُعَيْقعان بلصق دار سيدنا ومولانا قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام القاضى السيد حُسَيْن بن أبى بكر الحسينى أطال الله بقاءه، يقال له مَعْبَد الجُنَيد أحيا المشار إليه مآثرة، قال سعد الدين الإسفراييني: إنه مَعْبَد الجنيد ومعبد إبراهيم بن أدهم رضى الله عنهما.

• ومن الجبال المباركة المأثورة بمكة جبل حِرَاء، بكسر الحاء المهملة وفتح الراء ممدودًا ممنوعًا، وكانت الجاهلية تعظمه أيضًا وتذكره فى أشعارها، فمن ذلك قول أبى طالب عمّ النبى ﷺ:

وثور ومن أرْسَى ثبيرًا مكانه ... وراقٍ ليرقى فى حِراء ونازل

ويقال له جبل نور - بالنون أيضًا - لظهور أنوار النبوّة ولكثرة إقامة النبى ﷺ فيه وتعبُّده ونزول الوحى فيه عليه وذلك فى غار أعلاه معروف يأثره الخلف عن السلف رحمهم الله، وفى أعلاه صهريج ماء يجتمع فيه أيام المطر ماءٌ عذب سائغٌ، قال السُّهَيْلى فى الروض الأنف: إن قريشًا لما طلبوا رسول الله عليه السلام ليهمّوا بقتله كان على جبل ثبير فقال له ثبيرٌ وهو على ظهره: اهبط عنّى يا رسول الله فإنى أخاف أن تُقْتَل على ظهرى فيعذبنى الله تعالى، فناداه حراء: إلىَّ يا رسول الله.

قال القاضى أبو البقاء بن الضياء فى البحر العميق: إن النبى ﷺ اختبأ من المشركين فى غار ثور فيحتمل أن يكون النبى ﷺ اختبأ عن المشركين فى حراء فى واقعة ثم اختفى منهم فى غار ثور وقت الهجرة.

قلتُ: لم ينقل وقوع ذلك له ﷺ مَرَّتَيْن، وليس فى حديث السُّهَيْلى أن حراء لمّا نادى النبى ﷺ إلىَّ اختبأ من المشركين، خصوصًا وقد قال السهيلى

لما نقل هذا الحديث فى الهجرة قال وأحسب فى الحديث أن ثوراً ناداه أيضًا لما قال له ثبير: اهبط عنّى.

• ومن الجبال المباركة المأثورة أيضًا جبل ثَوْر، وهو جبل أكبر من حراء وأبعد منه بالنسبة إلى مكة، يُسَمَّى بثَوْر بن عبد مناة لسُكناه به، وصحّ أن النبى ﷺ وأبا بكر الصديق رضى الله عنه دخلاه واختبئا فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجّاه الله تعالى منهم.

قال صاحب البحر العميق: يروى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجّهًا إلى الغار جعل طوراً يمشى أمامه وطوراً يمشى خلفه وطوراً عن يمينه وطوراً عن شماله، فقال عليه الصلاة والسلام: ما هذا يا أبا بكر؟ فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمّى، أذكر الرصد فأحبُّ أن أكون أمامك، وأتخوّف الطلب فأحبُّ أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينًا ويسارًا، فقال: لا بأس عليك يا أبا بكر، إن الله معنا.

وكان رسول الله ﷺ غير مخصر القدم بل كان يطأ الأرض بجميع قدمه وكان حافيًا، فحفى رسول الله عليه السلام فحمله أبو بكر رضى الله عنه على كاهله حتى انتهى به إلى الغار، فلمّا وضعه أراد النبى عليه السلام أن يدخل الغار فقال أبو بكر: والذى بعثك بالحقّ لا تدخل حتى أدخل فأستبره قبلك، فدخل أبو بكر رضى الله عنه فجعل يلمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شىء يؤذى النبى ﷺ، فلما لم ير شيئًا دخل رسول الله ﷺ الغار وباتا فيه، فلما أسفر بعض الأسفار رأى أبو بكر رضى الله عنه خرقًا فى الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه شىء يؤذى رسول الله ﷺ، وأمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار والراء فنَبَتت وحمامتَيْن وَحْشيَّتَين فعشّشتا عليه وباضتا، فأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيّهم وسيوفهم ومعهم كُرْز بن علقمة القصّاص فقصّ الأثر حتى انتهى إلى الغار، فقال لهم: إلى هَهُنا انتهى أثره فما أدرى بعد ذلك أصَعِدَ السماء أم غاص فى الأرض، فقال لهم قائل: ادخلوا الغار فقال لهم

أُمَيَّة بن خلف ما أربكم فى الغار وإن عليه لعنكبوتًا من قبل ميلاد محمد، ثم بال حتى سال بوله فى الغار بين يدى النبى ﷺ وأبى بكر رضى الله عنه، فنهى النبى ﷺ عن قتل العنكبوت، وقال: «إنها لجندٌ من جنود الله تعالى» والراء شجرة لها زهر دقاق بيض تُحْشَى به المخادُّ وحمام الحرم من نسل تلك الحمامتَيْن ذكره السهيلى.

وفى الصحيحَيْن والترمذى عن أبى بكر رضى الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين من الغار وهم على رءوسنا فقُلْتُ يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا تحت قدمَيْه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنّك باثنَيْن الله ثالثهما». انتهى.

وكان خوف الصديق رضى الله عنه على رسول الله ﷺ لا على نفسه، فإنه قال: يا رسول الله إن قُتِلْتُ فأنا رجل واحد من أمّتك وإن أُصِبْتَ أنت هَلَكَت الأمّة، وكان النبى ﷺ يسكّن رَوْعَه ويقوّى جأشه، ويقول له: «لا تحزن إن الله معنا».

فرجع المشركون خَزَايَا وعصم الله تعالى نبيَّه وصاحبه منهم، وقد ثبت فى صحيح البخارى أنهما مكثا فى الغار ثلاثًا، وعن طلحة البصرى قال: قال رسول الله ﷺ: «مكثت مع صاحبى ـ يعنى أبا بكر رضى الله عنه ـ فى الغار بضعة عشر يومًا ما لنا طعام إلا ثمر البرير». قال أبو داود: البرير الآراك.

وفى حديث الهجرة أن أبا بكر رضى الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقول المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلاً بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر، وأمر مولاه عامر بن فُهَيْرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما فى الغار إذا أمسى.

وكانت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها تأتيهما ليلاً بما تصلحه لهما من الطعام، وكان عبد الله بن أبى بكر يكون نهاره فى قريش يتسمّع ما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ ثم يأتيهما إذا أمسى ويخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة يرعى غنمه فى رعيان مكة فإذا أمسى أراح عليهما

غنم أبى بكر فاحتلبها لهما، فإذا راح عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فعفاه حتى يعمى أثره على الكفار، حتى إذا مضت الثلاث وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ليُريهما الطريق وأتتهما أسماء رضى الله عنها بسُفْرتها وارتحلا، وبقية أخبار هجرتهما مذكورة فى السير فليراجعها من أرادها، ورحم الله الأَبُوصِيرِىَّ حيث قال فى بُرْدته:

وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكلّ طرف من الكفار قد عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون ما بالغار من آدم
ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأُطم

قال المرجانى فى بهجة النفوس: ذكر لى أن رجلاً كان له أموالاً وبنون وأنه أصيب بذلك فلم يَحْزَنْ ولم يجزع على مصائبه لقوّة صبره وتحمُّله فتوقّش، فقال: رُوِى أنه من دخل غار ثور الذى كان أَوَى إليه النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شىء من مصائب الدنيا، وقد فعلتُ ذلك فما وجدتُ قط حزنًا.

قال المرجانى رحمه الله تعالى: هذه الخاصّية من تأثير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. انتهى.

وهذا الغار مشهور معروف يتلقّاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون إليه من بابه الكبير الذى يُرْوَى أن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه ففتحه، وقلّ أن يدخل إليه أحد من بابه الضيّق؛ لأن الدخول منه عسرٌ ويحتاج إلى فطنة، والمشهور عند العوامّ أن من احتبس فيه لا يكون ابن أبيه، وذلك كلام باطل لا أصل له وقد تعوّق فيه قديمًا وحديثًا، وفى عصرنا حُبس فيه كثير من الناس وأخذ لهم حجّارون من مكة فقطعوا عنه وتكرّر ذلك كثيرًا فى كل عصر، ومع ذلك لم يتّسع كثيرًا بل يتعوّق الناس فيه

للجهل بكَيْفية الدخول خصوصًا إذا كان شخصًا بطينًا.

وكيفية الدخول فيه أن الداخل إليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه وكتفَيْه ثم يميل إلى جانب يساره فلا يجدُ ما يعوّقه ويسلك مائلاً إلى اليسار، وأما من لا يعرف بطريق الدخول يدخل رأسه وكتفَيْه ويستمرّ داخلاً بباقى جسده فتصادمه صخرة أمامه وتعوّقه فيرفع رأسه إلى فوق ويُحبس بوسطه فلا يمكنه الولوج لسمنه، وكلّما شدّد فى الدخول تعوّق وانحبس فيحتاج إلى حجّار يقطع عنه قليلاً ليخلّصه ولا يتفطّن للميل إلى جهة اليسار ليخلص بسهولة، ولكن الخرق قد اتّسع كثيرًا الآن[1].

• ومن الجبال المباركة فى الحرم ثبير، وهو على يسار الذاهب إلى عرفات فى مِنًى، وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى فُدى به سيدنا إسماعيل عليه السلام.

قال مَجْد الدين الفيروزآبادى فى كتابه الوصل والمنى فى فضل مِنَى: إن أبا بكر النَّقَّاش المفسّر قال فى مناسكه: إن الدعاء يستجاب فى ثبير يعنى ثبير الأثيرة الذى بلحفه مغارة الفتح، لأن النبى ﷺ كان يتعبّد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة، وذكر أن بقرب المغارة التى أنشأها بلحف ثبير معتكف عائشة رضى الله عنها.

قال التقى الفاسى: ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة. انتهى.

قُلْتُ: هذه الصخرة غير معروفة الآن.

وقال الأزرقى رحمه الله: حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد العزيز ابن عمران عن معاوية الأزدى عن معاوية بن قرة، عن الجلد بن أَيُّوب، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما تجلّى الله عَزَّ وَجَلَّ للجبل تشظّى فطارت لطلعته ثلاثة أجبُل فوقفت بمكة وثلاثة أجبل بالمدينة. فوقع بمكة، حِراء وثبير وثور، ووقع بالمدينة أُحد وورْقان ورَضْوَى[2].

(١) شفاء الغرام ١/ ٣٢٢.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٨٠.

• ومنها: الجبل المقابل لثبير الذى بلحفه مسجد الخيف لأن فيه غاراً يقال له غار المرسلات، فيه أثر رأس رسول الله ﷺ، قال ابن جبير بعد أن ذكر مسجد الخيف: وبقربه على يمين المارّ فى الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يظلُّ ما تحته، ذكر أن النبى ﷺ قعد تحته مستظلاً ومس[١] رأسه المكرم، فَلانَ الحجرُ حتى أثر فيه تأثيراً بقدر دورة الرأس، فيَضَعُ الناس رءوسهم فى هذا الموضع تبرُّكًا بموضع رأس رسول الله ﷺ كيلا تمسّ رءوسهم النار[٢].

قال ابن خليل: يستحبُّ أن يزور مسجد المرسلات نزلت فيه المرسلات وهو يمانى مسجد الخيف.

وذكر المحبُّ الطبرى فى كتابه «القرى» عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبى ﷺ فى غارٍ بمنًى إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات:١] وإنه ليتلوها وإنى لأتلقّاها من فيه، وإن فاه لرطبٌ بها إذ وثبتْ علينا حيّة، فقال النبى ﷺ: «اقتلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبى ﷺ: «وُقِيتْ شرّكم كما وُقِيتم شرَّها»[٣]. أخرجه البخارى.

وقال السيد التقى الفاسى رحمه الله: بلغنى عن شيخنا المجد الفيروزآبادى أنه قرأ فى هذه الغار سورة المرسلات فى جماعة من أصحابه، فخرجت عليهم حيّة فابتدروها ليقتلوها فهربت. وهذا من غريب الاتفاق لموافقته القصة التى وقعت للنبى ﷺ[٤].

• ومنها: جبل الخندمة، وهو جبل كبير خلف أبى قُبَيْس، قال الفاكهى: حدّثنى أبو بكر أحمد بن محمد المليكى، حدثنا عبد الله بن عمر بن أسامة قال: حدثنا أبو صفوان المروانى، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن ابن عباس

(١) فى ل: «ومسح»، والمثبت من م، وابن جبير.

(٢) رحلة ابن جبير ص١٤١.

(٣) القرى ص٥٣٩.

(٤) شفاء الغرام ١/ ٤٥٢.

رضى الله تعالى عنهما قال: ما مُطرت مكة قط إلا وكان للخندمة غرة، وذلك أن فيها قبر سبعين نبيًا. انتهى.

وهى مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهى معروفة الآن عند الناس بمكة.

• **وأما المساجد المأثورة المباركة** فمنها ما قد انمحى أثره ولا يعرف مكانه فلا نطوّل كتابنا بذكره: وأمّا الموجود المعروف منها فعدّة مساجد:

• **منها**: مسجد الإجابة على يسار الذاهب إلى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر يقال إن النبى ﷺ صلّى فيه، وهو متهدّم وفيه حجر مكتوب فيه أنه مسجد الإجابة وأنه عمّر فى سنة عشرين وسبعمائة[1]، وعمّر قريبًا ثم انهدم وبنى حوله العُربان بيوتًا وهم يصلّون فيه ويصونونه إلا أنه يحتاج إلى بناء أعظم من هذا.

• **ومنها**: مسجد بأعلى مكّة يقال له مسجد الجِنّ، قال الأزرقى: تُسمّيه أهل مكة مسجد الحَرَس فى مقابلة الحجون وأنت مصعد على يمينك، وإنّما سُمّى مسجد الحَرَس لأن العسس يجتمعون عنده ليلاً، قال: وهو فيما يقال الموضع الذى خطّه رسول الله ﷺ لابن مسعود ليلة استمع عليه الجنُّ، وأن الجنَّ بايعوا رسول الله ﷺ فيه[2]. انتهى.

قُلْتُ: أظنُّ هو المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمّى الآن الفرهادية بينهما طريق ضيّق. والله تعالى أعلم.

• **ومنها**: مسجد الراية فيه مئذنة ذات دَوْرَيْن تهدّم رأسها الآن، ويقال لها منارة أبى شامة، وأمامه إلى جانبه اليسار بئر معطلة الآن يقال إنها بئر جُبَيْر بن مطعم بن عدى بن نوفل، ويقال: إن النبى ﷺ ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد.

---

(١) شفاء الغرام ١/ ٤١٩.

(٢) أخبار مكة للأزرقى ٢/ ٢٠٠.

• ومنها: مسجد بالمُدَّعَى عند الميل الأَيْمَن للمستقبل فى مقابلة زقاق المجزرة، قال السيد الفاسى رحمه الله: يقال إن النبى ﷺ صلّى فيه المغرب على ما هو مكتوب فى حجرَيْن بهذا المسجد، أحدهما بخطّ عبد الرحمن ابن أبى حربى[1]، وفيه أنه عمّر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وفى الآخر أنه عمّر فى سنة سبع وأربعين وستمائة[2]، وذكره الأزرقى أيضًا فى المواضع التى تستحبُّ الصلاة فيها بمكة.

قلتُ: هو مسجد لطيف جدًا موجود الآن ومعروف أحاطت به الدور إلاّ الجهة الجنوبية منها التى هى الطريق، وهو بين دكاكين السوقة يتعيّن على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك.

• ومنها: مسجد بأسفل مكة يُنْسب إلى سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه، يسمّى الآن دار الهجرة، ويقال إنه ركب منها مع النبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة، يزوره الناس، وفيه يذكرون الله تعالى.

• ومنها: مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مسجد عائشة رضى الله عنها، وهو بعيدٌ عن أميال حدّ الحرم وكان يسمّى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديمًا، وقد تهدّم هذا المسجد وما بقى منه إلاّ آثار جدارات قائمة، وكان المكان الذى أرسل إليه النبى ﷺ أمّ المؤمنين عائشة مع أخيها رضى الله عنهما لتعتمر منه، ولا يصل المعتمرون الآن إليه بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلاً ويحرمون بالعمرة ويعودون، ومسجد عائشة رضى الله عنها مما يتعين تجديده وتعميره لأنه من الآثار المباركة القديمة، وقد تركه الناس لتهدُّمه واقتصروا على مساجد مرضومة بالأحجار بمحاريب موضوعة من الأحجار الصغار تتهدّم ويرضم غيرها وكلّها من وراء الأميال بمرآى منها.

وهناك صهريج عظيم قديم يمتلئ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون

(١) فى شفاء الغرام: «ابن أبى حرمى».
(٢) شفاء الغرام ١/ ٤١٧.

منه، ولمّا حج الوزير المعظم المجاهد فى سبيل الله حضرة سنان باشا يسّر الله له ما شاء فى سنة ثمان وسبعين، اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خاليًا لأنه لم يكن أيام المطر حينئذٍ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك، وكانت هناك بئر بعيدة متهدّمة مملوءَة بالتراب، فأمر سيّدَنا ومولانا شيخ الإسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحسينى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر إلى الموضع الذى يعتمر الناس منه بقرب الأميال، وعيّن خادمًا يجبذ الماء من البئر فى كل وقت ويسكبه فى ذلك المجرى فيسيل منه الماء إلى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتّصال والدوام يشرب منه الناس والدوابُّ والمعتمرون وأهل القوافل المارّين من هناك وأبناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعًا تامًا، ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائمًا إن شاء الله تعالى، أجرى الله تعالى على يَدَيْه الخيرات، وأثابه عليها أعظم الأجر وأسنَى المثوبات، وبلّغه من ألطافه وعناياته ما يتمنَّى، وختم لنا وله وأجمعين بالحُسنَى.

* * *

هذا آخر ما أردتُ جَمْعَه فى هذه الأوراق من كل خبر ظريف، وأثر مبارك شريف، رقّ معناه وراق، ولطف مُؤدَّاه فى الأسماع والأذواق، كلُّه نُخَبُ دُرَرٍ ونصائح، وجميعه نُجب غُرَر ومنائح.

ينسى بها الراكب العجلان حاجته ... ويصبح الحاسد الغضبان يطربها[1]

كأنها نجومٌ فى سماء اللطافة زاهرة، أو زهورٌ فى رياض الأناقة زاهرة تحت كل دُرَّة منها دُرَّةٌ فاخرة، وضمن كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة.

أصبحَتْ للقلوب قُوتًا وأضحت ... قُرْط أُذْن ولِلَّوَاحظ قُرَّهْ

(١) فى ل: «يطربها» والمثبت من م.

ولعمرى يحقّ لو كتبوها بسَوَاد العيون فوق المجرّه

فدونك أيها الفاضل اللَّوْذَعىّ، الكامل الفطن الألْمعىّ، الناظر فى هذا الكتاب، المتصفح لوجنات هذه العذراء الكعاب، ما أَوْدعته من لطائف الآداب، وأَدْرجته من زُبَد الحكم واللُّباب، ولا يحملك الحسد الذى جبل عليه الأقران، من إنكار ما تجد لغيره من المزايا الحسان، ولا يستميلك استصغار مؤلّفه إلى نُبَذ فرائده، والاستسهال بعظم فوائده، فإن لك غنمها، وعلى غيرك غرمها.

وما غيّر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

ومع ذلك فلا أدّعى رُتبة الكمال ففوق كل ذى علم عليمٌ، ولا أرعم النزاهة عن النقص والعَيْب فالمنزه عن كل عَيْب هو الله الملك القدوس العزيز العليم، ولقد قيل لا يُعْرَى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال، فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص فى الميل إلى نقصه، ولقد أرسل أستاذ البلغاء القاضى عبد الرحيم الفاضل البيسانى إلى العماد الأصفهانى الكاتب معتذرًا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لى شىءٌ وما أدرى أوقع لك أم لا وهأنا أخبرك به، وذلك أنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا فى يومه إلا قال فى غده لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. انتهى.

فالأَلْيَق بالفاضل إذا عثر بشىءٍ ممّا كبا فيه المؤلّف وعثر، أن يَسْتُرَ الزلل ويقيل العثار، ويَسُدَّ الخَلَل والعوار، فالكريم غفار، والحليم ستار.

وقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسْكًا، وأنظم له بجواهر المفاخر سلْكًا، فأَخْتمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الأعظم، خليفة الله الأكبر الأَفخم، صاحب السيف والقلم والعلم والعَلَم، مولى الترك والروم والعرب والعجم، سلطان سلاطين هذا الزمان، الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

الإيمان، عالم السلاطين وسلطان العلماء الأعاظم الأعيان، الذى تتصاغر فى أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر، وتسعى إلى لثم أعتابه ملوك الشرق والغرب وأمثال دارا والإسكندر، قِبْلة إقبال قلوب العالمين، وكعبة وفود مطالب العلماء العالمين، المحسن إلى أهل الحرمين المحترمين الشريفَيْن، المتكرّم المتفضّل على جيران الله وجيران نبيّه ﷺ فى هذين البلدين المعظمين المنيفيْن، الباذل عدله وإحسانه على كافّة الرعايا، والآمن فى ظلّ آمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا، الذى هو بحر كرم تحدث الألسن بمكارمه بالعجائب ولا حرج، ويلوذ بأعتابه الشريفة من نالته شدّة الافتقار فتدخل إليه السعادة من باب الفرج

له دولة أَسْمَى لها الله فى العلا ... مقامًا وأعلاهـا جنابًا وأَسْماهـا

لقـد أعربت عن سيرة عُمَـريّة ... تَبَوَّأها عثمـان بالعدل مبناهـا

السلطان ابن السلطان ابن السلطان، الملك المؤيّد مراد خان ابن سليم خان ابن سليمان خان، نصر الله تعالى عزائمه، وأمضى فى رءوس الأعداء صوارمه، وشيّد به بنيان الإسلام ودعائمه، وجعل مغارمه فى سبيل الله مغانمه، ولا زالت ألوية نصره منشورة الذوائب، مشهورة القواضب، مشرقة كالشمس يغشى ضوءُها المشارق والمغارب، صاعدة فى أفق السماء حتى تزاحم مناكب مواكب الكواكب، ولا برحت أسباب سعادته تقوى، وأحاديث المكارم إليه تسند وعنه تُرْوَى، والقلوب تتمسّك من عبوديته وصدق رأيه بالسبب الأقوى، فى عزّ مزيد، ونصر مشيد، وعُمر مديد، وسلطنة ثابتة لا تهن ولا تبيد، وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد وإقبال يلازم ركابه السعيد.

مـا لاح نجم على أفق السماء وما ... هَبَّ النسيمُ على العُشَّاق بالطيب

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسائر الأنبياء والرسل وآل كلّ والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، آمين.

وقد فرغ مؤلفه من تحريره، ووقفت أنامل قلمه عن تحبيره، فى ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وتسعمائة.

[كلمة الناسخ فى ختام نسخة م]:

وكان الفراغ من تعليقه فى خامس شهر ذى الحجة الحرام على يدى أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفوه ومغفرته إسماعيل بن تركى بن أحمد المنشليلى غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين، آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

obeikandl.com